وطن .. في خدمة الله
مجموعة قصصية بقلم .. محمد جلال

استهلال

"ما ان تولد .... عليك ان تعيش ..."

من رواية "لا قديسون ولا ملائكة " لايفان كليما

وطن .... في ذمة الله

سادت الاستوديو حالة من الجلبة والحركة في كل الاتجاهات، المصورون يجهزون كاميراتهم ويوزعونها على كافة زوايا الاستوديو، فني الكهرباء يفحص سبوتات الإضاءة ويتأكد من جاهزيتها للعمل، مقدمة البرنامج راحت ترش شعرها المصبوغ باللون الأصفر الفاقع بالاسبراي لتحافظ على هيئته المنتصبة خلال تصوير الحلقة، الكل مشغولون وعلى عجلة من امرهم.

فجأة ...غمرت المكان حالة من الصمت والوجوم ، دلف من باب الاستوديو مجموعة من شباب الملحدين ...رحب المخرج ومقدمة البرنامج بالضيوف الملحدين بنوع من التقزز والفتور على عكس الحفاوة التي استقبلوا بها ضيف البرنامج الدائم الشيخ رمضان عبد ربه الذي اعتاد ان يختم حواره بعد نهاية كل حلقة مع المخرج بعبارة " ان شاء الله نكون حوزنا على رضا معاليك ياباشا"

ستاند باي ...ثري...تو ...وان..

المذيعة: مساء الخير اعزائي المشاهدين ،النهاردة معانا ومعاكم ضيوف مختلفين ، ضيوف بيمثلوا ظاهرة شاذة وغريبة عن المجتمع المصري المعروف بحبه للدين و للتدين.

ثم بدأت المذيعة في توجيه الأسئلة للضيوف :

-ممكن اعرف ايه اللى دفعكم للالحاد؟

-ببساطة ، لا دليل علمي على ما تزعمه الأديان بالإضافة الى ان الأديان بلا استثناء تحرض على العنف والكراهية واقصاء الاخر.

ما ان سمع الشيخ ذلك حتي هاج وماج وجعل يتفتف ويلوح بيديه ممتعضا ، ثم صرخ فيهم ورذاذ فمه يتناثر على لحيته:

- لا حول ولا قوة الا بالله، البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير.

ابتسم احد الملحدين بسخرية ثم وجه حديثه للشيخ قائلا:

-يا مولانا يبدو انك حافظ مش فاهم ، وبعدين قولنا كلام علمي نفهمه وبلاش كلام الانشاء بتاعك ده.

فجأة وبدون مقدمات انتفضت المذيعة من مكانها وصرخت بشكل هستيري:

-استغفر الله العظيم، لا حول ولا قوة الا بالله، ايه الكلام ده ياكفرة ، انتوا اكيد مجانين ، الإسلام اعظم دين في العالم والشعب المصري حيفضل مسلم ومتدين طول عمره ...الرسول عليه الصلاة والسلام قال "كنتم خير امة أخرجت للناس "، اطلعوا بره الاستوديو يا كفرة ...اتفوووه عليكم.

خرج الضيوف في حالة من الدهشة والذهول من موقف المذيعة المفاجئ ، خلعت المذيعة الميكروفون وقطعة الايربيس ثم هبت واقفة وهرولت تهز اردافها الممتلئة في اتجاه مخرج البرنامج الذي كان يقف في احد زوايا الاستوديو مبتسما مما حدث ثم همست بابتسامة ماكرة:

-هاه ، ايه رايك يا أستاذ ؟ عجبتك؟

-اصلي يا نجمة ، حلقة حتكسر الدنيا ... بالمناسبة .. اديني

وفيت بوعدي وعملتلك الحلقة اللي كنتي عايزاها ؟ ايه نظامنا الليلة دي ؟

رفعت المذيعة حاجبها الايسر وعضت على شفتها السفلى ثم همست بخفة ودلال:

-لا يا حبيبي ، مش قبل ما أوقع عقد البرنامج الجديد.

تمت!

حسرة ..!!!

فتح عينيه ببطء شديد، كمولود يفتح عينيه على العالم لأول مرة ،شعر بخدر يسري في جسده كله ،خفة عجيبة لم يعهدها من قبل ، كأنه روح تحررت من جسدها ، بحركة متثاقلة نظر حوله ، فأذا بغرفة نومه قد صارت غارقة في ظلام دامس ، اغمض عينيه ثم فتحهما ، فركهما برفق ...لا فرق....ظلام.

لم يدر ماذا يفعل ، لا بد وان التيار الكهربائي قد انقطع كعادته في السنوات الاخيرة ، فكر ان يظل في فراشه لحين عودة التيار ، جعل يحملق في الظلام الحالك الذي غطى كل شيء حوله ، جالت في رأسه افكار عدة ، تذكر ليلة زفافه في هذه الغرفة منذ خمسون عاما، شعر بأسى لفقدان شريكة عمره بعد صراعها مع المرض الخبيث ، تذكر ولادة ولده الوحيد في هذه الغرفة ، يومها شعر أنه قد صار رجلا مكتمل الرجولة ، يومها شعر انه لا بد و ان يكون على قدر المسئولية ، لا بد وان يحقق في ولده " تامر" ما لم يستطع ان يحققه بنفسه.

ورغما عنه ، تسمرت ملامح وجهه ،شعر بغصة ومرارة في حلقه ،احس برجفة قوية تهز جسده الواهن ، سالت دمعة من عينه ، لم يتصور ابدا ان يكون الجحود ونكران الجميل جزاء رعايته لولده وشقائه لاجله طوال هذه السنوات ،تساءل في نفسه :هل كل الابناء جاحدون ام انه فشل في تربيه ولده الوحيد؟ هل من المعتاد ان يهمل الابن اباه لشهور طويلة بدون اتصال هاتفي على الاقل ؟ يا لتعاسة الانسان ...ليته لم ينجب ...ليته لم يتزوج ...ليته لم يولد..

فجأة ، اضيئت انوار الغرفة ، دلف الى داخلها رجلان ، الاول رجل ممشوق القوام يرتدي بدلة انيقة ويحمل بين انامله سيجارا فخما ، الثاني رجل قصير يميل الى البدانة يرتدي جبة وقفطانا وعمامة ويحمل بين يديه طستا مملوءا بالماء الدافي ومن على كتفيه تدلى بشكير ابيض.

نظر الرجل الانيق الى الجسد المسجى على الفراش وقد غطته بطانية من مفرق شعره الى اخمص اصبعه ، اخذ نفسا عميقا من سيجاره ، ثم وجه حديثه للرجل البدين قائلا بلهجة شبه

آمرة:

-يلا يا مولانا انجز ، عايزين ندفنه قبل المغرب.

حاضر يا " تامر " باشا!

تمت !

اكذوبة اسمها ...الحب

هناك. ...تساقطت قطرات المطر الشتوية الباردة فوق اسطح المنازل الطينية المغطاة بالقش والحطب ، لا يدري ما الذي جعله يخرج في هذه الساعة المتأخرة من الليل ليقف في هذا الزقاق العتيق ، وحيدا تحت أضواء أعمدة الانارة الواهنة ، ترتجف اذناه وانامله من شدة البرد ، كل ما يعرفه انه كان لا بد وان يراها ، حتي ولو من خلف ستائر شرفتها ، حتى ولو رأي ظلها يتحرك في ظلام غرفتها الدامس ، كان هذا كفيلا بتهدئة نار شوقه وحنينه اليها.

نعم ...هو طفل صغير مازال في العاشرة من عمره، ولكن شيئا ما بداخله كان يجعله يتعلق من وقت لأخر بجارة له في الحارة او حتى معلمة له في المدرسة ، لم يكن يعلم كنه هذا الشيء، كل ما كان يعلمه ان قلبه كان يهفو لرؤية هؤلاء ، وكم كانت سعادته غامرة عندما كان يجلس على شاطئ ترعة قريته ساعة الغسق ليفكر في احداهن وقد اخذ يراقب الأضواء المنبعثة من القري المحيطة وهي تتلألآ خلف أشجار الموز

والنخيل التي جعلت تتراقص على انغام العنادل والعصافير.

كبر الفتى وتخرج من الجامعة ،صادف العديد والعديد من الفتيات ، ولكن أحدا ما لم يلفت انتباهه ،كان يشعر وان عطبا ما قد أصاب قلبه ، كما لو كان قد تعطل عن اعظم مهامه ... الحب .. هل يمكن ان يتوقف القلب عن الحب؟ ام هو فقط عدم وجود من يستحق ذلك الحب؟

ذات صباح ...وفي بداية دورة جديدة في اللغة ، رآها امامه في قاعة المحاضرات ...غريب ما حدث له في ذلك اليوم ، هل من الممكن ان ترى انسانا لاول مرة فتشعر عندما تراه كما لوكنت تنظر الى نفسك؟ شعور عجيب بالراحة والالفة؟ فعلا...يبدو ان المقولة صحيحة...ان لكل انسان نصف اخر في هذا الكون وسعيد حظه من يجد نصفه الاخر.

هي فتاة حسناء خمرية البشرة، فارعة الطول، تمتلك عينين تشعان ذكاء ودلالا ، تشعر وهي تضحك كما لو ان العالم كله طفل صغير يتقافز فوق ارجوحته الخشبية.

انتهى اليوم الأول من الدورة بدون ان يتحدث معها ، لاحظ اثناء شرحه للمحاضرة انها لا تنظر اليه اطلاقا ، كانت فقط تكتفي بتسجيل ما كانت تسمعه منه.

لم تكن ترتدي خاتم زواج في اصبعها ، حسنا .. لابد وانها عروس المستقبل ، حاول التقرب منها على مدار الأسبوع الأول ، ولكنها كثيرا ما كانت تصده بلطف ، لم يكن يدري لما تتصرف هكذا، ان نظراتها المختلسة اليه تنبئ بأن شيئا ما بداخلها تجاهه، فلما هذا التجاهل والرفض؟

ولكن. رويدا رويدا ...اخذت الشدة تتحول الى لين والرفض يتحول الى اقبال ،وبعد شهور ..صارح كل منهما الاخر بحبه ، شعر وكأن العالم كله قد صار ملكا له، أخيرا آن للحياة ان تبتسم ، أخيرا تحقق الحلم واصبح هناك قلب ينبض من اجله.

طلب منها اكثر من مرة ان يتقابلا في مكان عام كي يتعرف كل منهما على الاخر قبل الارتباط، ولكنها دائما ما كانت ترفض، كانت حجتها دائما انها تخشى ان يراها احد معه فتسوء

سمعتها، الى ان اخبرته في يوم انها بحاجة للحديث معه في امر هام على شرط ان يكون هذا اللقاء بعيدا عن اعين الناس، لم يفهم ما الذي كانت تقصده ، ولكن رغبته في معرفة ذلك الامر الهام جعلته يستعير مفاتيح شقة احد أصدقائه واصطحبها الى هناك، لم يكن يتوقع انها ستوافق على هذا الاقتراح.

هناك...وبمجرد ان دلفوا من باب الشقة ، سألها بلهفة وفضول:

-يا ترى ايه الموضوع المهم اللى اصريتي نتكلم فيه على انفراد؟

اكتسى وجهها بابتسامة عذبة ثم ردت برقة وغنج:

-بجد مش عارف؟

نظر اليها باستغراب قائلا:

-لا طبعا

نظرت اليه نظرة عميقة وقد احمرت وجنتاها ولمعت عيناها ثم همست قائلة:

-انت مش عارف ان من اول ما شفتك وانا نفسي فيك؟

ثم طوقت عنقه بذراعيها المرمرين وهمت ان تقبله.

تراجع للخلف مذعورا من هول المفاجأة ،اشاح بوجهه عنها ،

ثم تمالك اعصابه وتمتم قائلا:

-ارجوكي انا مش عايز كده ، ياريت العلاقة اللي بينا تفضل نظيفة زي ما كانت دايما.

في اليوم التالي حاول ان يتصل بها كي يستفسر عن سر تصرفها الغريب فوجد تليفونها مغلقا فاضطر ان يستخدم رقم تليفونها الأرضي المسجل في استمارة تقديمها في دورة اللغات ، التقط هاتفه و طلب الرقم:

-الو...صباح الخير ... ممكن أكلم الانسة "رحاب"؟

-هههههه...الحقي ياماما، واحد بيسأل عليكي وبيقول الانسة "رحاب!!!!!"

تمت...

هو وهي ...ويوسف زيدان

لا يتذكر ...او بالأحرى هو لا يريد ان يتذكر كيف حدث ذلك ، كان هذا منذ ما يقرب من عقدين من الزمان ،كانت معه امه وشقيقته عندما رآها لأول مرة في منزل أهلها ، لم يستطع ان يحدد كيف احس تجاهها ،هو شعور غريب ، مزيج من الفتور والحيرة والتردد ، شعور باهت عديم الملامح ،هو الشعور بانعدام الشعور، هي جامعية ،خلوقة ، تحفظ عدة أجزاء من القرآن ،مقبولة الملامح ، من بيت طيب ، تجمع في صفاتها معظم ما يتمنى غالبية الشباب الباحثين عن الزواج والاستقرار،اما بالنسبة له ...فلم تكن سوى فتاة عادية.

كثيرا ما تمنى ان لو كان بلا تجارب عاطفية، تبا لتلك التجارب...لولاها لشعر ان زوجته هي اجمل نساء العالم ، لولاها لأصبح للحياة طعم و لون ورائحة ، ولكنه كثيرا ما تساءل في نفسه، هل التجارب العاطفية لابد وان تكون سببا في شقاء الانسان في حياته الزوجية؟ هل هذا الشقاء عقاب

من الله على تلك التجارب؟ ام ان الامر لا يعدو كونه مجرد صدفة وعدم توفيق في العثور على فتاة أحلامه؟

مرت الأيام والسنون بحلوها ومرها ، حدث نوع من الالفة والاعتياد ،وخصوصا بعد ان رزقهم الله بالبنين والبنات، ولكنه في خضم ذلك كله ، كان يشعر دائما ان ثمة شيء ينقصه ،كان يشعر ان حياته تسير بشكل آلي رتيب ،لا توجد أية جسور من التواصل والتفاهم ،هما ينتميان لعالمين مختلفين ، هو يهوى القراءة والرسم والموسيقى وهي تعشق الغسيل والطبيخ ومشاهدة المسلسلات العربية والتركية ومؤخرا الهندية، كان يشعر دائما ان سنين عمره تتبخر وتتبدد كما يتبدد الشعر الأسود الجميل من رأسه ويحل محله الشعر الاشيب الكئيب بما يحمله من يأس وذبول .

فكر اكثر من مرة في الزواج للمرة الثانية عل ذلك يعيد لروحه حيويتها وشبابها ،ولكنه دائما ما كان يتراجع خوفا على مستقبل أولاده ورغبة منه في ان تسير مركب الحياة في سلام.

سألها يوما في محاولة منه لإدخالها الى عالمه ونثر بذور المودة والرحمة والتفاهم :

-حبيبتي ، ايه رأيك في يوسف زيدان؟

قطبت حاجبيها وردت بسرعة واندفاع وقد تناثرت قشور حبات اللب على شفتيها وذقنها:

-قطيعة تقطعه ، اتخنقت منه اوي لما فسخ خطوبته من مي عز الدين!

تمت!

سر الأستاذ حسن!!!...

تسارعت دقات قلبه بشكل ينذر بالخطر، عرق غزير غطى جبهته، قشعريرة تسري في بدنه ، شعور بالشلل يتخلل اطرافه ، هو لايدري ماذا تراه ان يفعل الان ، هل يدلف الى الداخل وليكن ما يكون ، اما يتخاذل عن واجبه نحو اسرته الصغيرة ويترك الوظيفة الوحيدة المتاحة امامه الان.

كانت الحياة تسير على ما يرام، شقة من غرفتين وصالة، سيارة شاهين في حالة جيدة، زوجة جميلة من عائلة محترمة وثلاثة أطفال يشعون براءة وذكاء، الى ان انتكست حركة السياحة بشكل مفاجيء و اضطر ان يمكث لشهور عديدة في منزله بلا عمل ولا مصدر دخل.

والان.... ثقب الامل الوحيد المتبقي امامه هو العمل كمدرس لغة انجليزية في احدى المدارس الخاصة ذات السمعة السيئة ، لقد وجد الوظيفة بصعوبة ، فهو لا توجد لديه اية خبرة في التدريس ، لطالما كره تلك المهنة ، هي مهنة تبعث على مشاعر متناقضة ، الشفقة والاحتقار ، شفقة على حال المدرس

المادي والمعنوي وما يتعرض له من إهانة وضرب من الطلاب ، واحتقار لما يقوم به بعضهم من تحرش جنسي اواجبار للطلاب على الدروس الخصوصية.

وها هو الان ...عليه ان يدخل الى الصف لأول مرة، المفترض انهم طلاب حريصون على مستقبلهم فهم في المرحلة الثانوية، ولكن الهرج والمرج واصوات الصراخ والضحك التي سمعها اثناء توجهه للصف لا تنذر بخير ابدا ، لا بد وانهم طلاب سيئوا السلوك ،انها طبيعة المرحلة العمرية التي يعيشونها ، لا هم أطفال ولا هم بالغين ، تري ماذا سيحدث ؟

واخير...استجمع رباطة جأشه وكتم أنفاسه والقى بنفسه الى داخل الصف ، نظر الطلاب اليه في دهشة واستغراب ،تقدم اليه احدهم وسأله بلهجة لا تخلو من سخرية:

-ايه يا برنس، بتدور على حد ؟

-انا مدرس الإنجليزي الجديد.

_انجليزي ...طيب جيف مي بقشيش ....هههههههه

مرت الأيام بخطى ثقيلة ، سخرية واستهزاء من الطلاب بشكل

يومي ، كان اكثر ما يحرص عليه هو ان يقتصر الامر فقط على السخرية والا يصل الى حد الايذاء البدني ...كثيرا ما شعر بالاسى والاسف لحاله ، ولكنه كان يعزي نفسه بانه ليس الوحيد ، كل معلمي ومعلمات المدرسة يتعرضون للاهانات والاستهزاء باشكال مختلفة ..الا مدرس واحد فقط ...الاستاذ حسن مدرس الزراعة...الوحيد الذي يمتلك قدر سحرية على ضبط الصف ..الطلاب يجلسون في حصته وكان على رؤوسهم الطير..سأله اكثر من مرة عن سر تلك المهارة الفريدة في ضبط الصف وكان رده دائما...

-قوة الشخصية يا أستاذ ...لازم تكون شخصيتك قوية مع طلابك ...امال انت فاكر ايه ؟

لم يقتنع ابدا بتلك الإجابة، هل كل المعلمين والمعلمات معدومي الشخصية والأستاذ حسن هو راسبوتين المدرسة ؟

ذات صباح ، مر بجوار احد الصفوف وكان الأستاذ حسن بداخله ، يتحدث بحماس وانفعال للطلاب والكل يستمع بإنصات واهتمام غريبين ، حاول ان يسمع ما يقوله الأستاذ

حسن ولكن للأسف لم يتمكن من ذلك نظر لان نوافذ الصف الزجاجية والباب كانوا مغلقين بأحكام.

شعر بفضول شديد لان يعرف ما يحدث داخل الحصة ،

انتظر الي نهاية الحصة والتقي باحد طلاب الصف الذي تجمعه به علاقة طيبة وسأله:

-انتوا ليه قاعدين ساكتين مع الأستاذ حسن مع ان باقي الحصص بتقلبوها سيرك ؟

تلفت الطالب حوله بريبة وحذر ثم قال هامسا:

-اقولك يا أستاذ بس توعدني ما تجيبش سيرة لحد ؟

-عيب سرك في بير.

-الأستاذ حسن كان بيشرح لنا النهاردة طريقة تكبير العضو الذكري.

تمت !

الواجهات المضيئة..!

كانت تلك هي المرة الاولى التي يسافر فيها الى باريس , مدينة الجن والملائكة , ارض الجمال والنور , كثير ما قرأ وسمع عنها , وها هي الان , حقيقة ماثلة امام عينيه , مضت الايام الثلاثة الاولي بين حضور لجلسات المؤتمر في الصباح , وزيارة لمقاهي باريس الشهيرة في المساء , كان بداخله شغف وشوق لزيارة الاماكن التى تردد عليها العظماء , سارتر وسيمون دي بوفوار وفولتير وغيرهم من الكتاب والفلاسفة الذين تربى على كتاباتهم.

ذات مساء , اقترح احد الاصدقاء القيام بزيارة , زيارة غير عادية , زيارة لشارع الملذات , شارع المتعة والجمال , لم ترق له الفكرة , فقد آمن دوما بأن الجنس بلا حب كجسد بلا روح , كحديقة بلا ورود , كسماء بلا نجوم ....ونتيجة لالحاح اصدقائه ..... وافق.

هناك...تلآلآت الاضواء الوردية على الواجهات الزجاجية للمحلات التي تراصت على امتداد الشارع , فتيات حسناوات من مختلف الاجناس والجنسيات , يتمايلن في رقة ودلال

خلف الواجهات الزجاجية المضيئة , لا شيء يستر اجسادهن سوى قطعتين من الملابس الداخلية الملونة بألوان زاهية جذابة ,تزاحم الشباب باندفاع وصخب امام الفاترينات , يسألون ويجادلون في تفاصيل الاسعار والخدمة المقدمة , شعر بالاسى الشديد لحال تلك الفتيات , ان الانسان ليشعر بالحزن عندما يبيع تلفزيونا او ثلاجة لمجرد ان تلك الاشياء كانت تنتمي اليه في يوم من الايام , فما بالك بفتيات يبعن اجسادهن , اغلى ما يملكن , يبعنها لاي كائن كان , الخير والشرير,الصحيح والمريض ,الابرص والاجرب , فقط لمجرد امتلاكه حفنة من المال.

فجأة , لمعت عيناه, واهتز فؤاده , لقد رآها , جمال ملائكي, عيون زرقاء هدباء , شعر ذهبي لامع تدلى بانسيابية على كتفيها , جسد مرمري ناعم لو رأته فينوس الهة الجمال لغارت منه, اقترب من الواجهة الزجاجية المضيئة حيث وقفت ..سألها : بكم ؟ ردت بابتسامة ساحرة : 40 يورو...15 دقيقة.

دلف الى الداخل ، غرفة صغيرة توسطها سرير بالكاد يتسع لشخصين , الستائر المخملية الحمراء احاطت بالسرير ,

الانوار الوردية الخافتة انسابت بهدوء لتكسب المكان جوا سحريا اشبه باحلام المراهقة , خلعت قطعتي الملابس برقة وغنج , مدت يدها الطرية البضة الى درج ضغير بجانبها ,اخرجت منه واقيا ذكريا وراحت تفض غلافه , هنا , امسك بيدها برفق واشار اليها ان تجلس بجانبه على السرير , سألها : لما انتي هنا ؟ قطبت حاجبيها واكتسى وجهها بعلامات دهشة طفولية , كرر السؤال : لماذا توجد زهرة التيوليب وسط كومة القاذورات؟ اطرقت برأسها لبرهة ثم نظرت اليه وقد اغرورقت عيناها بالدموع... همست : البعض يختارون وظائفهم والبعض الاخر يختارها الفقر والجهل لهم..ثم سالت من عينها دمعة اشبة بحبة لؤلؤ تتراقص فوق طبق من الكريستال , نظر اليها نظرة عميقة دافئة , مد انامله ليمسح دمعتها برفق وحنو ...اخرج من جيبه ورقة فئة المائة يورو , وضعها في يدها ,طبع قبلة على جبينها ...وانصرف!

تمت...!

جمهورية المظلومين

اغمض عينيه ومال برأسه للخلف , ارتسمت على وجهه الذابل ابتسامة هادئة , تذكر يوم تخرجه من كلية السياحة والفنادق بتقدير امتياز ,ذلك اليوم الذي طالما حلم به وسهر الليالي الطوال من اجله , دائما ما حلم بلقب "دكتور" , د .سامح فوزي , يا له من اسم موسيقي جميل , والاجمل منه حرف الدال الذي يسبقه.

ولكن هيهات ..ابت الحياة الا ان تكون مأساة اغريقية ... لم يتحقق حلمه , قتلته المحسوبية اللعينة كما قتلت كل شيء في بلادنا...اختاروا ابنة احد اعضاء هيئة التدريس التي حصلت على جيدا جدا فى العام السابق!

وكما هو الحال دائما , لا بد للحياة ان تستمر ,الحياة لا تأبه بأحد , الحياة لا تتوقف من اجل احد , الظالمون ماضون في ظلمهم , والمظلومون يأنون ألما ويأسا ,لا شيء يتغير للافضل , الكون برمته اشبة بكرة صغيرة تسبح بشكل عبثي في فضاء سرمدي مظلم!

ورغم شعوره بالهزيمة والانكسار , دارت عجلة الحياة , عمل بأحد الفنادق الفخمة بشرم الشيخ , نجح بعد عدة سنوات في توفير مبلغ يسير من المال استطاع من خلاله الزواج وشراء شقة في " فيصل , " ذلك الحي الشهير بجمهورية فيصل الشعبية نظرا لاكتظاظه المخيف بالسكان.

ومرة ثانية , لم يتركه القدر وشأنه , وكأن مؤامرة كونية قد حيكت ضده , حدثت اضطرابات سياسية بالبلاد ادت لانهيار السياحة ...وانهياره هو ايضا ..اصبح بلا عمل ...اصبح لا شيء ...زوجة وطفلان يعولهم " لا شيء"...تبا لتلك الحياة!

اشارت عليه زوجته واقاربه ان يبيع شقته الصغيرة ويشتري بثمنها ميكروباصا...رفض ...صرخ ...بكي ..تساءل والقهر يعتصر قلبه :.هل من العدل ان يعمل الشاب المجتهد خريج الجامعة سائقا للميكروباص ؟

فجأة , استيقظ على صوت اتاه من الخلف صائحا : يلا يا اسطى " سامح " .....العربية كملت!

تمت !.

خنوع

والناس من خوف الفقر في فقر ...ومن خوف الذل في ذل

محمد الغزالي

انطلقت دقات جرس المدرسة إيذانا ببدء اول يوم في العام الدراسي الجديد...عام جديد من الغربة والقهر والملل .....والمال أيضا... دائما ما ولد لدي هذا اليوم الكثير من المشاعر المضطربة والمتضاربة في آن واحد ... .تدافع الطلاب الخليجيين والمقيمين في اتجاهات شتى يبحثون عن صفوفهم الجديدة ليصطفوا في النهاية في طوابير متوازية ومتساوية في الساحة الداخلية للمدرسة...المعلمون اقبلوا مبتهجين يتبادلون التهاني والسلامات فضلا عن القصص والطرائف

التي جرت لهم خلال شهري الاجازة الصيفية ...هناك لمحته للمرة الاولي....كان شابا في منتصف الثلاثينات ،قمحي اللون تميل بشرته الى السمرة وتشي ملامحه بكم القهر والمعاناة التي عانى منها قبل ان يطرق الحظ بابه وفي يده فرصة عمل في الخليج ، كان يرتدي بنطالا كاكيا وقميصا مشجرا ذو الوان زاهية و متنافرة وحذاء اسودا باهتا غطته الاتربة وكأن صاحبه قد اتي الى الخليج سيرا على الاقدام ....كانت ترتسم على قسمات وجهه علامات القلق والتوجس والاضطراب .....دفعني الفضول الى ان أسأل الزملاء عن الوافد الجديد، اخبرني احدهم بانه زميلنا الجديد في قسم اللغة العربية....الاستاذ/ رجب أبو صميدة.

ومن الأسبوع الأول بدت عليه علامات الجد والاجتهاد في العمل

، وكثيرا ما كان يحمل اجندة في يده ليعطي انطباعا لمن حوله بأن العمل هو شغله الشاغل حتي اننا بتنا نسميه "الاجنداوي" نسبة الى الاجندة ...واكثر ماكان يلفت الانتباه هو حرصه على ارضاء الرؤساء المباشرين وأعضاء الإدارة العليا بشتى الطرق.... لاحظنا انا وغيري ذلك عن كثب وكنا نجده امرا مبررا ...فأي معلم جديد لابد له وان يثبت اقدامه بالمدرسة ويضع بصمته الخاصة والا كان مصيره انهاء خدماته بلا ادني تردد والعودة الي حياة الضنك والمعاناة.

كان كل ذلك عاديا ، أما ما لم يكن عاديا فهو محاولته التقرب من رؤسائه بطرق مقبولة و غير مقبولة، بل ومهينة احيانا، فهو تارة يجلب لهم الهدايا بمناسبة وبدون مناسبة وتارة يقوم بدور الجاسوس على زملائه وتارة يحكي لهم القصص والنكات

الجنسية ..وكان مع نهاية كل شهر ووصول رسالة إيداع راتبه في البنك يزداد كبرا وحقارة ...كان يتعامل مع زملائه على انه اهم منهم وكان كلما تيقن من قوة علاقته برئيس له في العمل ، تطلع للمستوى الأعلى ،حتى انه كانت هناك روايات وغمز ولمز عن قوة وحميمية علاقته مع مدير المدرسة الخليجي و مكوثه في مكتبه لساعات طويلة والمكتب مغلق عليهم ....!!! كنا دائما ما نشعر بالإهانة والخزي بسبب افعاله فهو في نهاية الامر محسوب علينا كواحد من بني جلدتنا وكنا على يقين ان الإدارة تنظر له نظرة ازدراء و احتقار....او على الأقل كنا نظن ذلك ..

وذات صباح ، دق جرس الهاتف في قسمنا ،قسم اللغة العربية ، التقط رئيس القسم سماعة الهاتف ،وفوجئ بمدير المدرسة على الطرف الاخر، ازدرد ريقه بصعوبة بالغة وقال

بصوت مضطرب:

-صباح الخير يا افندم ،ازي صحة سعادتك ، أأمرني سيادتك.

-هلا أستاذ، رجاء تسلم مفاتيح مكتبك و ملفاتك للأستاذ /

رجب أبو صميدة.....رئيس القسم الجديد...!!!!

تمت !

القرار

ملل , رتابة , لا جديد .... الايام في الغربة مستنسخة من بعضها

البعض بعبقرية فذة , حياة بلا طعم ولا لون ولا رائحة , ليس

فيها ما يشعرك بالسعادة ... ولا الحزن .... هي اشبه بالموت !

كثيرا ما خطر له ان بعود الى ارض الوطن , كثيرا ما تراجع ,

لقد سمع من الحكايات الكثير عن اناس اتخذوا تلك الخطوة

وندموا عليها اشد الندم ,منهم من افلح في العودة الى الغربة

ومنهم من ينتظر.

ولكن الى متى هذا التردد ؟ ايترك حياته تضيع سدى؟هل

الهدف من الحياة هو العيش الكريم وجمع الاموال فقط ؟

وماذا عن دفء الصحبة ولمة الاهل ؟ ماذا عن روح الحياة ؟

واخيرا ...اتخذ القرار...هبطت الطائرة الى ارض الوطن بهدوء

وسلام ,اسرع الركاب ينزلون حقائبهم واغراضهم قبل ان تتوقف الطائرة عن الحركة, لم يبال اي منهم بصراخ المضيفة التي راحت تطلب منهم الجلوس لحين توقف الطائرة , تزاحم الجميع في ممر الطائرة محاولين تخطي بعضهم البعض لمغادرة الطائرة وانهاء اجراءات ختم الجوازات بسرعة , تساءل في نفسه : الم تغير الثورة في المصريين شيئا ؟اما زالوا مدمنين للفوضى و"الفهلوة"؟ وسرعان ما ابتسم حين تذكر ان هؤلاء هم المقيمون في الخارج, ومن الطبيعي ان يكون سلوكهم هكذا , هم لم يتم "فرمتطهم" بعد , هم ما زالوا على نسخة "الويندوز" الخاصة بما قبل الثورة , لا بد وان الثورة غيرت الكثبر في سلوك المصريين الذين ينعمون بالعيش في ربوع الوطن , وهذا هو ما حدث ابنائه كثيرا عنه ؟ لابد وان كل شيء

قد تغير الى الافضل ..ان الشعب المصري ذور السبعة الاف سنة من الحضارة سيعود لسابق عهده ويبهر العاالم كما ابهره قديما.

اثناء وقوفه في طابور ختم الجوازات , لاجظ ان علامات الاستياء والحنق قد كست وجوه الضباط وامناء الشرطة , انهم يختمون الجوازات بلا ادنى اكتراث بالشخص االواقف امامهم ,هم لا ينظرون اليه, لايعيرونه اي انتباه...غريب!

ذهب ليجلب عربة "تروللي" لنقل الحقائب , فوجد طابورا طويلا هناك , سأل : لما هذا الطابور ...اجابه احدهم بدون ان يلتفت اليه : منتظرين التروللي ياسيدي!

هنا...طلب منه ولده الصغير ان يذهب الى الحمام, استقبلتهم

على باب الحمام سيدة مسنة ترتدي جلبابا وحجابا ازرقين غطاهما البلل والوسخ ...

-حمدا لله على السلامة ياباشا ...كل سنة وانت طيب ...

اخرج من جيبه ورقة نقدية ودسها في يدها في صمت .

-اووف ...ايه القرف ده !

سارع نحو صوت ولده الذي انبعث من الحمام , وجده قد وقف في تقزز وقرق وسط بركة من المياة القذرة غطت ارضية الحمام وعامت على سطحها المناديل الورقية المتسخة بلون بني عجيب اشبه بلون بشرة المصريين.

صاح الولد في أباه - بابا ...هي الثورة اللى انت كلمتني عنها ما جاتش الحمام؟

ضحك الاب ضحكة مدوية ما زال يتردد صداها في رأسه حتى الان.

تمت...!

في شرفتي ...سوف اظل.

اطل من شرفتي كل صباح على هذا العالم العجائبي، فيطرب قلبي لشقشقة البلابل وتلمع عيناي فرحا لرؤية خيوط الشمس الذهبية، تتسلل بخجل بين اغصان شجرة الصفصاف الوارفة ،....اشعر بالحب يغمر كل جوارحي .....ما اجمل هذا الكون وما اعظم من ابدعه!

في عربة مترو الانفاق، واثناء رحلتي اليومية الي مكان عملي، التحم الركاب ببعضهم البعض بسبب الازدحام المعتاد في مثل هذا الوقت من الصباح ،تصاعدت رائحة كريهة في الجو بسبب رائحة العرق والانفاس ، تنوعت اعمار واشكال الركاب ، فهذا شاب يحملق في هاتفه المحمول وهذه سيدة تصطحب طفلتها الى المدرسة وهذا موظف يمسح حذائه بمنديل ورقي وهذه سيدة عجوز لم تجد من يرفق بشيخوختها و يدعوها للجلوس، وكان بين هؤلاء رجلان....احدهما يرتدي ثوبا ابيضا قصيرا وقد تدلت من وجهه لحية طويلة غير مهذبة واخذ يقرأ القران بصوت عال غير مبال بمن حوله ، وعلى مقربة منه

وقف شاب ثلاثيني يرتدي صليبا في عنقه واخذ ينظر اليه نظرات تنم عن استياء وضجر ، اقترب المسيحي من المسلم وقال له:

-من فضلك اخفض صوتك قليلا فانت في مكان عام.

رفع المسلم راسه من المصحف ورد باستعلاء :

-هذا كلام الله ومن حقي ان ارفع صوتي في أي مكان كيفما شئت.

دهش المسيحي لهذا الرد المفاجئ وزفر بحدة:

-اذن من حقي ان اخرج انجيلي واقرأ فيه بصوت عالي مثلما فعلت.

على الفور انتفض المسلم ورد بغضب :

-كتابك محرف وعقيدتكم باطلة يا من جعلتم من المسيح الها.

ارتعد المسيحي واحمرت اوداجه وصرخ قائلا:

-اخرس ..اخرس يا من تشرب بول الابل وتضاجع الصغيرات وتنشر دينك بالقتل والذبح.

هنا تدخل شخص ثالث ارتسمت على ملامحه علامات السخرية والاستهزاء، نظر إليهم بازدراء وقال بلهجة واثقة:

- أنتم الاثنان أجهل من دابة، انتم تتجادلون في أمور ليس عليها دليل والعلم الحديث اثبت تخلفكم وايمانكم بخرافات وخزعبلات.

وهنا وقعت الواقعة ، و نشبت معركة حامية بعربة المترو اصبت على اثرها بكدمة اسفل عيني اليمني علما بانني لم يكن لي ناقة ولا جمل ولم أشارك في الحوار بأي شكل من الاشكال.

لم اذهب للعمل في هذا اليوم وعدت لمنزلي في حالة من الذهول والالم أيضا.

وقفت في شرفتي وسرحت بأعيني وقلبي في جمال الأشجار وزرقة السماء وانعكاسها على صفحة مياه النهر ... ثم همست في نفسي قائلا:

- سحقا لكم ولما فعلتم بأربابكم، سوف اظل هنا في شرفتي.... مع خالقي.

تمت....!

سقوط الاله

لاشيء يظلل سماء حياتها سوى اللون الرمادي ، لقد سئمت كل شيء ،ما عاد هناك شيء يدفيء برد قلبها ويملأ خواء عقلها غير الفيسبوك ، ..نعم الفيسبوك ، حواراتها اليومية مع اصدقائها وصديقاتها أصبحت طقسا مقدسا ، هي تعلم انهم أصدقاء افتراضيون او على الاصح وهميون ، منهم من تتظاهر بانها امرأة وهى رجل و منهم من يدعي النبل والشرف وكل همه إقامة علاقة جنسية على الويبكام .

ولكن لم يكن لديها بديل ، فزوجها مشغول دائما في عمله ، وهي مهملة دائما وملقاة في ركن من اركان المنزل كقطعة اثاث بالية ، لا أطفال ، لا عمل ، لا شيء ، حالة من الفراغ المادي والعاطفي ، حتي زوجها التي ظنت انها تحبه يوما لم يعد كما كان ، اصبح مجرد عابر سرير .

فجاة، تغير كل شيء في حياتها ، اصبح لكل شيء لون وطعم ، اصبح لحياتها معني ، كل هذا فقط لمجرد ظهور شخص في

حياتها ، شخص بمفرده كفيل بأن يغير نظرة انسان الى العالم ، وحتى الى نفسه ، ولكنه لم يكن كمثله احد ، هو الكاتب والروائي والفيلسوف ، هو الأستاذ.

لم تكن قد سمعت به من قبل، كان اول عهد لها به من خلال احدى صديقاتها على الفيسبوك ، انضمت الى صفحته ، ومن يومها اصبح هو كل حياتها ، ملأ عالمها بفكره ومحاضراته ورواياته ،قرات كل كتبه ، حفظت مقاطع من رواياته ، كانت تعشق طريقة القائه للشعر ، كانت لثغته في حرف الراء تشعرها بقشعريرة تسري في جسدها ، كثيرا ما سألت نفسها :هل هي تعشقه ؟ ولكنها دائما ما كانت تضحك و تطرد من ذهنها ذلك الخاطر ، فهو متزوج ولديه أولاد وقبل كل شيء في عمر والدها .

كان لا بد وان تراه ، وتكلمه وجها لوجه ، وتحاوره عقلا لعقل ، وتناجيه قلبا لقلب ، علمت من خلال صفحته على الفيسبوك بانه سيقيم حفل توقيع لروايته الجديدة في احدى المكتبات الشهيرة بالزمالك .

هناك رأته ، شعرت كما لو كانت تحلم ،تراقص قلبها فرحا وغبطة ، ها هو الأستاذ بشحمه ولحمه ، كثيرا ما كانت تخشى بان يكون وهما كمعظم اصدقائها على الفيسبوك ، تحلق الشباب والبنات حوله في صخب وفرح ، منهم من كان يطلب توقيعه على الرواية ، ومنهم من أراد ان يلتقط صورة تذكارية معه ، كان الملهم لأناس كثيرون في زمن ندر فيه الملهمون.

اقتربت منه بخطى متئدة وقد غمر وجهها خجل انثوي ساحر واكتست شفاهها بابتسامة ساحرة ، مدت يدها تصافحه ، قبض على يدها بقوة وسالها :

-اتقابلنا قبل كده ؟

-لاء

-اوك ، ده الكارت بتاعي ، ابقي كلميني.

اخذت منه الكارت وخرجت من المكتبة مسرعة تكاد تحلق في سماء الزمالك ، تكاد ترقص وتغني مع عصافير السماء ، لأول مرة يعطي معبود رقم تليفونه لاحدى مريديه.

في المساء ، اخذت دشا ساخنا واعدت كوبا كبيرا من عصير البرتقال البارد واستعدت لحوار فكري عميق مع معبودها الذي تحول فجأة الى حقيقة :

-مساء الخير ، ازاي حضرتك ؟

-اهلا، ازيك ..كنت عارف انك حتكلميني .

-وحضرتك عرفت ازاي؟

- هههههه....انا بأفهم في النسوان كويس اوي !

تمت ...!

حكاية "حازم"

كم انت كريه أيها الصيف بجوك الخانق وشمسك الحارقة، كانت تلك هي الكلمات التي تترد في ذهني اثناء دخولي لمحطة مترو الانفاق بمنطقة "الخلفاوي" ، زحام شديد اجتاح المحطة ، ركاب صاعدون واخرون هابطون ، لا احد ينظر لاحد ، الكل مشغولون وهائمون على وجوههم كما لو كانوا مخلوقات من "الزومبي"

الا وجه واحد ظل ينظر لي من وسط الحشود، شاب ثلاثيني حلو الطلعة جميل المظهر وقف يرقبني من على البعد، ولكن لما يحدق بي الشاب الوسيم هكذا ؟ لا بد وان هناك ثمة شبه بيني وبين قريب له او صديق .

وصل القطار ، تسابق الكل للركوب ، تدافع وشد وجذب كما لو كانت مباراة لكرة القدم الامريكية ، لامكان لموضع ساق في العربة ، الكل يشهق ويزفر لاعنا شدة الحر، ولكن ...ما هذا ؟ ثمة شخص يقف امامي ويكاد يلتصق بي بشكل غريب .

-لو سمحت ،ممكن تطلع ادام شوية ؟

-اوه ،انا اسف ..غصب عني ،حضرتك شايف الزحمة.

يا الهي ، انه الشاب الوسيم الذي كان يحدق بي على رصيف المحطة ، ولكن لما يحاول الالتصاق بي هكذا ؟ تبا لذلك الزحام اللعين.

للمرة الثانية ، الشاب الوسيم يرجع بقوة الى الخلف ويلصق ظهره بصدري ، انه يحاول ان يعبث بجسدي ، يالهي ...لقد اتضحت الصورة الان ،هو واحد من هؤلاء ، لا بد وان اضع حدا لهذه المهزلة، ولكن هناك مشكلة ، اذا حاولت ان ادفعه بيدي لربما كان مختلا نفسيا وحاول ان يضربني ،ومن الجائز جدا ان يشبعنا الركاب نحن الاثنين وابلا من اللكمات والركلات ..لا بد وان اتحمل هذا التحرش المنحط حتي يتوقف القطار في المحطة القادمة.

توقف القطار بهدوء في محطة "سانت تريزا" ، هبطت بسرعة مذهولا مما حدث ، ولكن ذهولي تضاعف عندما رأيت الشاب الوسيم امامي ، يبدو انه مجنون فعلا.

اقترب مني وابتسم ابتسامة ساحرة كشفت عن اسنانه البيضاء الجميلة.

-مساء الخير ، انا اسمي "حازم" وكنت عايز اتعرف على حضرتك.

- وانا يا سيدي مش عايز اتعرف عليك...عن اذنك.

انصرفت من امامه مهرولا الى خارج المحطة غير مصدق لما حدث ، يا للغرابة !! لقد اتضح ان هؤلاء الأشخاص موجودون في الحياة فعلا، لقد كنت اظنهم موجودون روايات علاء الاسواني فقط.

ظل هذا الموقف مخيما على ذهني لعدة أيام ، لم استطع منه فكاكا ، ولم استطع ان انسى نظرات الضحك والاستهزاء التي صوبها لنا بعض الركاب المنتظرين على رصيف المحطة ، لا بد

وانهم يعرفون "حازم" ويعرفون حكايته ، لا ادري لما تعاطفت مع هذا الشاب المدعو "حازم" ، لقد سمعت كثيرا بأن هؤلاء الأشخاص لا يولدون "شواذا" ولكنهم يصبحون كذلك اذا ما تعرضوا لاعتداء جنسي في طفولتهم ، غالبا ما يكون من احد الأقارب او الجيران .

ولكني قرات على احد المواقع أيضا ان هناك بعض الأبحاث التي تؤكد ان هؤلاء الأشخاص يولدون بجينات الشذوذ ، يا لتعاستهم! انني لا استطيع ان أتصور كيف تكون حياتهم ، هل لديهم القدرة على الزواج والانجاب ، ام ان هذا الامر قد يكون حائلا دون سير الحياة في مجراها الطبيعي ، هم مساكين حقا ، ان هذا البلاء يجعلهم عرضة للسخرية والاحتقار من المجتمع باكمله ، وكثيرا ما يتعرضون بسبب تلك اللعنة للاختلاط بنوعيات منحرفة من البشر لتلبية رغباتهم الملعونة، سائق توتوك او صبي حلاق، أي ذكر أيا كان.

وبينما انا غارق في التفكير في حكاية "حازم" ، انطلق صوت امي من المطبخ مجلجلا :

-يلا يا "حازم " يا ابني ..الاكل حيبرد.

تمت ..!

يوسف زيدان.... الملحد!!!

القى بجسده الواهن على الكرسي الخشبي القابع في شرفة شقته ، استسلم لنسمات الشتاء الباردة وهي تداعب خصلات شعره الأبيض المنساب على جبهته العريضة ، ما اجمل شمس الغسق وهي تتوارى في خجل خلف البنايات العالية ، ثم تذوب رويدا رويدا في أحضان موجات البحر الهادر.

لاحت منه نظرة الى الطاولة الكائنة بجانبه ، وجد كتابا كان قد شرع في قراءته منذ أيام بعنوان "الطريق الصوفي" للدكتور يوسف زيدان، تناول الكتاب برفق وحنو كمن يحمل طفلا رضيعا ، راح يقلب في صفحاته حتى وصل الى الفقرة التي كان قد توقف عندها منذ يومين، وجد انها تتناول فلسفة الشيخ الأكبر "محيى الدين بن عربي"، لفت نظره المقطع القائل:

لقدْ كنتُ قبلَ اليومِ أُنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينِهِ دانى

وقد صار قلبى قابلاً كلَّ صورة فمرعىً لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ

أدينُ بدينِ الحبِّ أنىَّ توجَّهتْ ركائبه فالحبُّ دينى وإيمانى

ضم الكتاب الى صدره ثم تنهد بعمق وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة راحة و سلام ، مال برأسه الى الخلف، اغمض عينيه في رقة وهدوء ، همس في نفسه قائلا " يا الله ، ما اجمل ان يدين الانسان بدين الحب ، نعم ...هو الحل الأمثل لكل مشاكلنا ، فالاعتقاد باحتكار الحقيقة المطلقة هو اس البلاء ، في هذا العالم لا توجد حقيقة مطلقة ، التغير هو الشيء الوحيد الغير متغير ، حقيقة الامس هي خرافة اليوم ، قمة الجهل ان تعادي انسان لمجرد اختلافه معك في معتقدك ،من الذي يحسم بأنك على صواب وانه على خطأ ؟ لابد وان تقبل

الاخر المختلف ، وفي النهاية الحساب عند الله "هو اعلم بمن اتقى" .

فجأة ، شعر بغصة في حلقه ،وانسابت دمعة من عينه ، تذكر شبابه سني شبابه الاولي عندما انضم الى احد الجماعات الإسلامية واطلق لحيته ، تذكر كيف كان يحتد على والده الراحل وكم اشتعلت الشجارات بينهما بسبب حرص والده على قراءة كتب هيوم وسبينوزا وانجلز، كان يرى ان هؤلاء الفلاسفة ملحدين وان على والده ان يحرق كتبهم ويتوب الى الله ....كم كنت اخرقا ، كيف جرؤت على ان انهر والدي واتخذ منه عدوا لمجرد اختلافي معه في وجهة نظر، يا لغبائي ورعونتي....ها انا الان اقرا كتب كل هؤلاء بالإضافة الى كتب عتاة الملحدين امثال ريتشارد دوكنز وسام هاريس وكريستوفر هتشنز ...رحمك الله يا ابتي...كم اتوق لان اقبل يديك وقدميك اعتذارا عما بدر مني من حماقة وجهل.

هنا ...اقتحم عليه ولده المتشدد الشرفة فأبصر في يديه كتاب

يوسف زيدان فاستشاط غضبا وصاح به قائلا:

-ايه ده يا بابا ، بتقرا كتاب ليوسف زيدان الملحد؟

-ليه يا ابني بتقول عليه ملحد؟

-لانه انكر المعراج وده شيء معلوم من الدين بالضرورة.

-وماهو تعريفك للمعلوم من الدين بالضرورة؟

تلفت الشاب يمنة ويسارا ثم ازدرد ريقه وزفر في حدة:

-لو سمحت يا بابا ...ما تغيرش الموضوع!!!

تمت !

مزامير الشيطان في منزل الشيخ "أبو حمص الترمساني"

تفقد النوافذ والابواب واطمئن انه قد اغلقها جميعا، همهم يدعو دعاء الخروج من المنزل " بسم اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزلَّ ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَم ، أوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ" ....ثم اغلق الباب بالمفتاح وانصرف .

تلفتت "نور " يمنة ويسارا غير مصدقة انها قد باتت بمفردها، شعرت كما لو ان المنزل قد صار حديقة غناء ، كما لو أن روحا شريرة قد انصرفت للتو ، غريب تغير احساس الانسان بالمكان بتغير الأشخاص المحيطين ، اسرعت الى الطاولة الخشبية الصغيرة في منتصف الصالة ، التقطت ريموت التلفاز ، اشعلته بفرحة ، أضاءت الشاشة على احدى القنوات التي تخصصت في تصدير الصياح والصراخ واللحى الشعثاء ،شعرت كما لو ان خفاشا قد قفز من الشاشة و

التصق بوجهها ، ضغطت الزر بحركة لا ارادية لتغيير المحطة الي محطة أخرى للموسيقى الكلاسيكية ،تمددت على الاريكة برقة ونعومة ، فكت جدائل شعرها الأسود الناعم لينساب على صدرها وكتفيها في انسيابية ساحرة ،مدت يدها الي الطاولة الصغيرة بجانبها ، تناولت رواية "نور" ليوسف زيدان ، كم تحب هذه الرواية ، فتحت الرواية على وردة حمراء ذابلة ، التقطت الوردة برفق ، دققت النظر فيها ، شعرت برجفة تسري في جسدها ، تسارعت دقات قلبها على نحو غير معتاد ، بدا لها كما لو انها قد صارت تماما كالوردة الذابلة ، ولما لا ؟ ألم تترك دراستها الجامعية من اجل الزواج ؟ ألم تتزوج من انسان يختلف عنها في كل شيء ؟ هي تعشق الموسيقى والشعر والادب وهو لا يعلم عن الدنيا شيئا سوى الحلال والحرام ، لا تتذكر انها اشتركت معه في حوار فكري ابدا ، كثيرا ما حاولت ان تدخله الى عالمها ولكنه دائما كان يحول كل شيء الى حرام

وحلال ومكروه ، حتى انها أصبحت تشعر كما لو كانت زوجة لمجلد قديم اصم غطته الاتربة ويرقات العناكب.

فجأة، صدر صوت وقع اقدام على باب الشقة ، دلف الى الداخل رجل يرتدي جلبابا ابيض ويتدلى من على راسه شال ابيض طويل ومن وجهه لحية سوداء كثة، اشبه ما يكون بكفار قريش بعد اعتناقهم الإسلام ،همهم يدعو دعاء دخول المنزل تماما كما فعل في الصباح عندما دعا دعاء الخروج ، انتبه فورا الى صوت الموسيقى المنبعث من التلفاز ، اسرع يصرخ في زوجته النائمة على الاريكة ، لم يلاحظ انها في نومتها بدت أشبه بملاك رقيق يسبح في عالم شفاف من الزنابق والفراشات الملونة ، لم ينتبه للوردة الحمراء الذابلة التي امسكتها بين انامليها الرقيقة او رواية "نور" التي وضعتها بالقرب من قلبها ،صاح فيها بحدة :

-بسم الله ما شاء الله، معازف في بيتي، مزامير الشيطان في بيت الشيخ أبو حمص الترمساني !

استيقظت مفزوعة على صراخه واسرعت تخفي الوردة والرواية تحت الطاولة ، اعتذرت له ووعدته بانها لن تكرر فعلتها "النكراء" ثانية ، سألها عما اذا كانت اعدت طعام الغداء فاجابته بالإيجاب ، جلسا على المائدة يتناولان الطعام في صمت ووجوم ، سألها ان كانت قد أدت صلاة الظهر فأجابته بالنفي وعللت ذلك بانها انشغلت بإعداد الطعام ، نظر اليها في استياء ثم لعق أصابعه متمتما وانصرف الى غرفة النوم في سكون

،صاح فيها من غرفة النوم في غضب:

-صلي الظهر وتعالي هنا بسرعة.

- حاضر

صلت الظهر ، اطرقت برأسها في حزن ، شعرت كما لو كانت مقدمة على جراحة بدون مخدر ، دلفت الى حجرة النوم في وجل، وجدته قد ارتدى قميصا ابيضا من الكستور يصل حد الركبة ،ومن تحته اطلت ارجله

الكثيفة الشعر واصابع اقدامه المعوجة ،بدا كما لو كان تجسيدا نموذجيا لانسان النياندرتال الذي تحدث عنه "داروين " في نظريته ، اقترب منها في صمت ، التقط مسواكا من جيبه ومرره على اسنانه جيئة وذهابا مرة او مرتين ، ابتسم ابتسامة خبيثة تنم عما يضمر لها من نهم ، ملس بيده على شعرها ببرود ثم همهم :

-اللهم ما جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا!

تمت!

جريمة في مسرح العرائس

لم يجمعهم الثلاثة سوى شيء واحد ، الضياع ،كلهم ضائعون ، كلهم فاقدون لهويتهم ، جثث هامدة ما زال فيها بقية من نبض ، لم يشعر أي منهم بقيمة له في الحياة الا بعد ان اقترب منه ، نعم ، الروائي المشهور ، ذلك الذي اعطى لحياتهم معنى ، وليته لم يفعل.

الأول، محامي فاشل، قهرته ظروف الحياة ، لطالما حلم بأن يتخرج ويصبح وكيلا للنائب العام ،كثيرا ما ارتدى بذته السوداء وتأمل نفسه بشاربه الكث في المرآة ، انه يشبههم تماما ، ولكن هيهات ، نسي انه يعيش في بلاد الظلم والظلمات ، تخرج ولم يجد امامه سوى اختيار من اثنين ، اما سائق ميكروباص او عرضحالجي برتبة محامي .

الثاني : سيدة عزباء ، لاتربطها بالجمال علاقة من قريب او بعيد ، لم تعش علاقة حب طوال حياتها ، كانت مشاعر الحب لديها دائما من طرف واحد ، طرفها هي بالتأكيد ، تعاني من

وحدة قاتلة ، لاتزور احدا ولا يزورها احد ، لاشئ مهم في حياتها ، تدور في فلك من الفراغ اللانهائي.

الثالث : طالب في كلية الاداب ،قسم علم النفس ،كليل النظر ، ضئيل الحجم ، يشعرك منظره بانه مازال طالبا في الإعدادية ، يعلم تماما بان مستقبله حالك الظلام ، اقصى ما يمكن ان يحلم به هو العمل كأخصائي نفسي في احدي المدارس النائية.

حاصرهم الضياع جميعا ، نكل بأرواحهم ، الى ان التقوا صدفة ، التقى ثلاثتهم في احد صالونات الروائي المشهور، كان ذلك هو لقائهم الأول ، هناك تعارفوا ، بهرتهم الأضواء وكاميرات القنوات الفضائية ، عالم جديد تماما بالنسبة لهم ، لأول مرة يرون كاتبا مشهورا وجها لوجه ، لم يصدقوا انفسهم حين مد الروائي يده ليصافحهم ، معقول ، اما زالوا أناسا موجودين على قيد الحياة ، اما زالوا مرئيين للبشر ، لقد نسوا هذا الشعور منذ زمن طويل ، شعورهم بالضياع جعلهم يظنون انهم غير مرئيين ، وجودهم او عدمه لا يهم احد ، صاروا كما لو كانوا اشباح لأناس دهستهم عجلات الحياة.

ومنذ ذلك اليوم ، اصبح هوشغلهم الشاغل ، قبلتهم في الحياة ، لا هم لهم الا حضور ندواته ، وقراءة رواياته ، أصبح التعليق على منشوراته والترويج لمحاضراته عبادة يومية لا ينقصها الا الوضوء قبلها.

لا ينسى المحامي ذلك اليوم عندما تهكم عليه وكيل النيابة ونصحه بأن يشتري توكتوك ليعمل عليه، يومها اخرج صورة من جيبه جمعته مع الروائي المشهور واشهرها في وجه وكيل النيابة صارخا :

-انت مش عارف انا مين؟ انا صديق الروائي المعروف شريف حمدان.

يومها ظل يحدق في الصورة طيلة اليوم، ولوهلة تخيل انه غير موجود في الصورة، انه فقط الروائي المشهور في الصورة، وبجواره لاشيء ، يومها بكى كثيرا.

وكما هو معلوم ، دوام الحال من المحال، بعد تعدد اللقاءات والصالونات ، شعر الثلاثة بان اهميتهم التي تخيلوها هي

مجرد وهم في اذهانهم ، هم لا شيء ، مامعني تحلقهم حول الروائي أينما ذهب ، ما هي قيمتهم في الحياة ، ما هو الشيء الذي يميزهم عن غيرهم ، هم مجرد عرائس في يده يحركها كيفما شاء ، انه يستغلهم بلا رحمة، ما زالت السيدة العزباء تذكر كيف المح لها في يوم من الأيام ان تحضر صديقتها الحسناء له في منزله ، حتي الشاب كليل النظر لم يسلم من استغلاله ، لطالما امره ان يراجع رواياته لغويا ويكمل بعض فقراتها أحيانا، حتي ان الشاب المسكين قارب على فقدان بصره.

فاض بهم الكيل ، سئموا قذاراته ، قرروا ان يثأروا لكرامتهم المسلوبة، حتى و لو خسروا وهج السهرات والبرامج التلفزيونية ، ولكن كيف ؟

في صباح اليوم التالي ، تصدر الخبر ادناه عناوين الصحف الرئيسية :

"مصرع روائي شهير في شقته بالزمالك "

صمت مطبق

انطلق مسرعا الى خارج المستشفى يتصبب عرقا ورعبا، منظر صديقه وهو مسجى على فراش المستشفى متأرجحا بين الحياة و الموت أصابه بالهلع والحزن، هل من المعقول ان يخر الانسان صريعا في اقل من ثانية بعد ان كان يملأ الوجود صخبا وحياة؟

تقوقع على نفسه داخل حجرته لمدة أسبوع، لا يكلم أحدا ولا يكلمه احد، كان السؤال الوحيد المسيطر على ذهنه ...لماذا؟ لماذا انا هنا؟ والى اين سأذهب بعد الموت ؟ هل الله موجود؟ هل حقا سأموت؟ كيف لم يجل برأسي هذا الخاطر من قبل ، رغم ان الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة في هذا العالم.

حاولت زوجته ان تستفسر عما أصابه وغير حاله، لكنها لم تفلح في ذلك ، خطر لها ان يكون قد ارتبط بزميلة له في العمل ، ولما لا ، لقد تخطى سن الأربعين منذ عامين ، وهذه هي سن

اليأس التي يحتاج فيها الرجل لان يستعيد رجولته وينعش شبابه .

غريب جدا ان يشعر الانسان كما لو كان قد استيقظ فجأة من سبات عميق ، كيف لم يلاحظ تلك التجاعيد التي بدأت تزحف على وجهه ويديه ، وذلك الشيب الذي التهم رأسه ، هي نذر الموت لا محالة، ذلك الشبح البغيض الذي وقف ملوحا بمنجله في نهاية الدرب المظلم.

لم يعد هناك شيء مبهر ، لا شيء يبعث على الضحك ، حالة من الفتور جثمت على قلبه وعقله ، اللون الأبيض الكئيب لجدران المستشفى صار يحلق في الافق، لون الصمت والموت.

تملكه شعور خانق ، رغبة ملحة في الهروب الى الفراغ ، حيث لا احد ، التقط مفاتيح سيارته ، انطلق مسرعا ، لايعلم الى اين ، خطر له ان يعرج الى الصحراء المجاورة لمنطقة سكنه ، في خلال دقائق كان هناك ، صعد الجبل بسرعة ، تعثرت قدماه ، تغضنت ملابسه ، اتسخت ، لم يكترث ، خر راكعا

على ركبتيه ، شخص ببصره الى السماء ، اعترته رهبة ووحشة، صمت مطبق لف الكون ، منظر السماء ساعة الغسق ، بغيومها العجيبة ، اشبه بلوحة سيريالية لسلفادور دالي ، حدق في الأفق ، ثبت عينيه على نقطة غير مرئية ، دعا ربه ، لا يعلم بماذا دعا ، هو فقط تمنى ان يكشف له ربه سر وجوده في هذا العالم ، اقشعر جسده ، اهتز فؤاده ،ترقرقت عيناه بالدموع ، همس بقلب خاشع :

- يا رب يا سميع يا عليم ، لما انا هنا ، في هذا العالم العبثي ،امنحني كشفا من عندك ، لقد سئمت الحياة على هذه الاض ، مثل بقرة تسير في مدار ساقية، مغمضة العينين، لا تعلم من فعل بها هذا ولما ، يارب ....يارب.

فجأة ، شعر برفرفة محببة حول اذنيه ، أصوات شقشقة ملائكية دنت من رأسه ، لا بد وان ربه قد استجاب له ، ها هي البشارة قد حلت ، آن للغريب ان يرى حماه ، شعر بملمس شيء دافيء على جبهته ، لابد وانها نفحة الهية ، تهللت اساريره ، تلمس جبهته ببهجة

عارمة ، وضع اصبعه على موطن الدفء ، ثبت نظره على اصبعه ، فاذا بالنفحة الإلهية قد استحالت زخة براز ابيض من عصفور بري شارد.

تمت

للملاحظات والاقتراحات :

ايميل :

lovecandles2009@gmail.com

فيسبوك :

https://www.facebook.com/profile.php?id=100001744828108